

سلاح المثقفين في معركة التحرير

الثقافة بما هي فعل معرفة والتزام تدخل على هذا الاساس كعامل رئيسي وحاسم في ورشة التقدم الاجتماعي ، وكعامل رئيسي ايضا من عوامل النصر والهزيمة في المعارك التي تخوضها الشعوب من اجل استكمال تقدمها وتطورها .

واليوم اذ نخوض جيوش من البلدان العربية معركته الشرف والتحرير فان على المثقفين العرب المسؤولين ان يجندوا اقلامهم فوراً للاسهام في هذه المعركة بالتعبئة النفسية اللازمة ، لدعم جبهات القتال على مختلف المستويات وبكل الوسائل التي يملكونها .

والمثقف العربي الملتزم يعرف تماما ان دوره لا يقف عند حدود الدعم المعنوي والفكري للمعركة ، فهذا اول واجباته ، وانما يدرك استنادا الى التزامه بالمسؤولية الفكرية والتاريخية انه مدعو ايضا ، وبالقدر نفسه ، الى استشراف آفاق المعركة القتالية الآتية وابعادها السياسية ومؤثراتها الايجابية والسلبية في هذا الاتجاه او ذلك ، وتحليل تطوراتها العسكرية والمواقف السياسية التي تتخذها الحكومات المعنية نتيجة لتطور القتال وتقدير موازين القوى والظروف الدولية والعالمية .

من هنا ، ان دور المثقف اليوم ، ومهمته الثقافة العربية ، همما دور ومهمة تاريخيان بالنسبة الى سير المعركة من جهة ، وبالنسبة الى تقدير ملامساتها السياسية والدبلوماسية ، ونتائجها في اطار حركة التحرر العربية واهدافها العامة في بناء المجتمع العربي الحديث ، وفي اطار حركة التحرر العالمية وغاياتها الانسانية الكبيرة .

ومهما يكن ، فان التشديد على استمرار القتال ، وحشد كل الطاقات العربية في خدمة المعركة ومواصلتها بأي ثمن لدحر الصدان الصهيوني وحلفائه ، والتأكيد على ان اي تخاذل واي رضوخ لتهديد الاعداء ولجزم انطلاقا الجندي العربي الباسل ، والتفريط بحق الشعب الفلسطيني ، وحق الشعوب العربية بالحرية والنصر هو خيانة قومية بحق شهداء هذه الامة وجريمة تاريخية لا تغفر .

ان الثقافة العربية الطبيعية ثقافة مسؤولة وملتزمة ، وفي ساحتها ايضا جنود لن يلقوا السلاح مهما تكن النتائج والتضحيات . فليطمئن اخواننا في الجبهة ، اننا الى جانبهم في معركة الشرف والتحرير من اجل النصر او الموت .

الاتوار

٢٢ تشرين الاول

والامر الثاني هو ان الكلمة لا ترتبط بالواقع ارتباط واصف بوصف ، او تابع بمتحول ارتباطا آليا ، وانما الحركة التي تنتظم فيها العلاقة بين اللفظ (الذات) والواقع (الموضوع) انما هي حركة جدلية ، تجعل كلا منهما يرتبط بالآخر ارتباطا جدليا . وهكذا لا تعود المسألة ان نفاضل بين العمل والكتابة ، او نتخلى عن احدهما في سبيل الآخر ، فهذا موقف يفصل بين الكلام والواقع ، عدا انسه يتضمن مفاضلة تنافس التكامل الجدلي بين الكتابة والعمل .

تصبح المسألة ان نعيد النظر في مفاهيمنا السائدة عن الكتابة وعن العلاقة بينها وبين الواقع . وتقدم لنا هزيمة ٦٧ ، والاحداث التي تلتها حتى ٦ تشرين الاول ، والاحداث التي جرت بدءا منه ، مادة فريدة للتأمل والتقويم . وحين نعيد النظر بدقة وعمق ، نبيّن الحقائق التالية :

أولا - ليس النتاج الفكري والادبي والفني بعد هزيمة ٦٧ ، واحدا . ان مستوياته متباينة جدا ، وهو لذلك متفاوت القيمة ، جدا .

ثانيا - ان ما سقط منه لم يسقط لمجرد انه عكس الهزيمة ، واستسلم لها . وما نجا من هذا السقوط لم ينج لأنه ظل آملا ورفض الهزيمة . فلم يكن السقوط او عدمه تابعا لمجرد الموقف ، وانما كان تابعا لدرجة الفنى والشمول في الرؤيا الفكرية او الادبية او الفنية .

ثالثا - ان في هذا النتاج ما استلهم الهزيمة وعكس ابعادها الحضارية ، ومع ذلك ظل ويظل نتاجا عظيما . فلقد كان نوعا من الحركة التي صنعت من الهزيمة حصارا على الوعي العربي والحاسة العربية ، يستحيل التفات منه الا بفعل يعاكس الهزيمة : حركة الانتصار . كان ، بتعبير آخر ، مواجهة في المستوى التراجيدي ، للانهار الذي ولدته الهزيمة . ولهذا كان بمثابة الطرف الاقصى للظلام الذي يلتصق بالطرف الآخر : النور . ومن هنا كان يشير الى اللهب فيما يعانق الرماد . وفي هذا لعب دورا أساسيا في شحذ الطاقة العربية وشحنها بحيث شارك في تعميق لعظمتها التراجيدية : اما المزيد من السقوط ، واما المزيد من التحرك في اتجاه يتجاوز السقوط .

ذلك هو دور الفن : ان يرميك في أتون الحياة لحظة يحدثك عن الموت . او يكشف لك عن واقع أفضل وأبهى ، فيما يحدثك عن الواقع الاليف . لا دوره وحسب ، بل سره ايضا - السر السذي يميز الاعمال الادبية والفنية العظيمة ، ويطلعها . وهذا هو معنى الارتباط الجدلي بالواقع . فالقصيدة ، مثلا ، لا تتشبه بالواقع ، سواء كان ظلاما او نورا ، أي انها لا ترتبط به آليا ، وانما تأخذه ككل ، وتنفذ في معانيه ودلالاته وابعاده ، حيث يتشابك السقوط والنهوض ، العتمة والبريق ، الجمود والخلخلة ، في حركة دائمة من التحول الدائم باتجاه المزيد من سيطرة الانسان على مصيره وعلى الكون .

الاخبار

٢٧ تشرين الاول